استقـــالة

لم يقدمها رئيس الوزراء ، وما ينبغى لرئيس الوزراء أن يقدمها فصحته – والحمد لله – موفورة والشفاء مقبل عليه – والحمد لله – فى خطى واسعة سراع . وما ينبغى لرئيس الوزراء أن يقدمها حتى ولو كانت صحته من الضعف والوهن بحيث لا تسمح له أن ينهض بهذه الأعباء الثقال التى يسمونها أعباء الحكم . فاسم رئيس الوزراء يغنى عن صحته ، واسم رئيس الوزراء خليق أن ينهض الوزراء بأثقال الحكم ، فيتحملوا جهده ، ويصرفوا أموره كأحسن ما يحتمل الجهد وتصرف الأمور !!

فى اسم رئيس الوزراء قوة تندك لها الجبال وتزلزل لها الأرض . وفى اسم رئيس الوزراء بركة يستحيل لها الجدب خصبا ، وتصبح بها الأزمة ثروة ، ويصير بها الشقاء والبؤس سعادة ونعيما . وإذا اجتمعت للوزارة من أسباب الحياة والبركة فى اسم رئيس الوزراء فقد اجتمعت للوزارة من أسباب الحياة وطول البقاء أمتنها وأقواها . وإذن فليس رئيس الوزراء هو الذى قدم الاستقالة ، لأنه ليس فى حاجة إلى تقديمها ، ولأنه واثق كل الثقة ونحن واثقون معه كل الثقة بأنه سينفع مصر صحيحا وعليلا ، وسيخدم مصر قريبا وبعيدا ، وسينقذ مصر مشتركا فى الحكم بالفعل وغير مشترك فيه . ولو قد أزمع رئيس الوزراء أن يرفع استقالته إلى جلالة الملك لأنه مريض عليل ، أو لأنه ناء بعيد لسعت مصر كلها سعيا تلح عليه وتتوسل إليه فى أن يمسك استقالته أو يستردها ! فمصر حريصة على رئيس الوزراء ! ومصر مشغوفة برئيس الوزراء ! تحبه حب الأم الشفيقة البرة لابنها الوفى الوحيد ! مصر قد ذاقت من ألوان السعادة والنعيم فى عهد رئيس الوزراء ما تستعذبه وتستلذه وتحرص كل الحرص على أن يدوم ويتصل وهل ذاقت مصر لذة الحرية قبل رئيس الوزراء ؟! وهل استمتعت مصر بالعزة والكرامة قبل رئيس الوزراء ؟! وهل عرفت مصر الرخاء والثروة قبل رئيس الوزراء ؟ وهل شكت مصر من كثرة المال حتى كادت تكتظ به قبل رئيس الوزراء ؟ فكيف تريد أن تفرط

كوكب الشرق فى ٩ – ٧ – ١٩٣٣ .

مصر فى رئيس الوزراء ؟ أو أن تسمح مصر لرئيس الوزراء بأن يستقيل ؟ كلا لن يستقيل رئيس الوزراء ، ولن تأذن مصر فى ذلك ! ولن تشك فى أن رئيس الوزراء إن قدم استقالته أوهم بتقديمها فلن يفعل ذلك إلا مكرها عليه ، مضطرا إليه من هؤلاء الانجليز الذين لا يحبون مصر ، ولا يحبون لها الخير ، والذين يظهرون التأييد لرئيس الوزراء ، ويسرون الكيد له والجد فى تأييد الوفديين !! ولابد لمصر من أن ترد إلى الانجليز كيدهم وتصرف عن نفسها شرهم وتحوط رئيس وزرائها بالنفوس والقلوب ، وتأبى على الانجليز إكراههم اياه على أن يستقيل . فذلك ليس من شئون الانجليز ، وإنما هو من شئون مصر وحدها . وقد ضرب رئيس الوزراء لمصر فى العزة والكرامة ، وفى الأنفة والإباء مثلا لن تنساه يوم أفحم المستر مكدونالد ووقفه عند حده ، حين أراد أن يعرض لشئون مصر الخارجية . وقد انتفعت مصر بهذا المثل واستفادت مصر من هذا الدرس فستقول للإنجليز يوم يريدون رئيس وزرائها على الاستقالة : مكانكم ، لا تتقدموا ، بل تأخروا . وإن شئتم فلن تسمح لكم مصر القوية العزيزة أن تمسوا بسوء رئيس وزرائها القوى العزيز !!

لم يقدم رئيس الوزراء إذن هذه الاستقالة التى عنونا بها هذا الحديث ، وإنما قدمها رجل آخر ليس له خطر رئيس الوزراء ولا يمكن أن يكون له خطر رئيس الوزراء ، وإنما هو رجل كغيره من الناس ، لا يشارك رئيس الوزراء إلا فى شيئين : فى الوزارة ، وفى المرض .

فهو وزير الخارجية كما أن رئيس الوزراء وزير المالية ، وهو مريض كما أن رئيس الوزراء مريض ، ولكن الحوادث أظهرت أن رئيس الوزراء قد أخطأ ، وأى الناس لا يخطىء ، وهل أكثر خطأ من عظماء الرجال حين اختار نخلة باشا المطيعى ليكون له زميلا فى الوزارة وشريكا فى الحكم . أخطأ لأن وزير الخارجية لم يكد يصيبه المرض حتى استقال أو تحدث فى الاستقالة . وقد تقدم إليه من تقدم فى أن الاستقالة لا تليق بوزراء هذا العهد لأنها ضعف فى النفوس وخور فى الطبيعة . فقبل النصيحة وعدل عن حديث الاستقالة ، ثم طال عليه المرض بعض الشىء فعاد إلى هذا الحديث وعاد ناصحوه يذكرونه بأن الاستقاله آفة قد برىء منها وزراء هذا العهد السعيد . فسكت الرجل على مضض ثم طال عليه المرض فاضطر إلى أن يخرج من الصمت ويذكر الاستقالة من جديد . وأظهرت التجارب أن النصح لا ينفعه وأن الموعظة لا تعنى عنده شيئا ، وأنه لم يكن من الرجال الذين يصلحون لهذا العهد ، وإنما هو من رجال العهد القديم الذى كان

يستقيل فيه الوزراء إذا مرضوا وألم بهم من العلة زائر ثقيل .

وقوم آخرون فيهم مكر وفيهم شدة حتى فى الدعاية ، يزعمون أن وزير الخارجية لم يستقل أول الأمر ، وإنما أثبت أنه من رجال هذا العهد ، وأنه قادر كرئيس الوزراء على أن يجمع المرض والحكم فى غمد ، لكنه أراد أن يسافر ليستشفى كما سافر رئيس الوزراء ليستشفى ، وأستأذن فى ذلك فلم يؤذن له فغضب لكرامته وغضب لصحته واستقال . وإذا كان هذا النبأ صحيحا فهو دليل أيضا على أن وزير الخارجية لم يكن من رجال هذا العهد ، وإنما هو من رجال العهد القديم الذين كانوا يغضبون إذا استأذنوا فلم يؤذن لهم ، أو طلبوا شيئا فلم يجابوا إليه . والذين كانوا يستقيلون إذا أبى عليهم رئيس الوزراء بالأصالة فضلا عن رئيسهم بالنيابة بعض ما كانوا يطلبون .

أثبت وزير الخارجية أنه من تلك الدقة القديمة التى تمرض فتستقيل وأى خطر تتعرض له مصر لو أن جميع الوزراء كانوا من تلك الدقة القديمة يستقيلون للمرض ويستقيلون للغضب ، ومع ذلك فقد خلت المثلات من قبل وزير الخارجية ، وكان عليه أن يستفيد من وزراء قبله غضبوا وألح عليهم الغضب فلم يستقيلوا ، وإنما ثبتوا فى أماكنهم حتى استقال رئيس الوزراء نفسه فأخرجهم من الحكم ، وهم يعلمون أو لا يعلمون . ثم ألف وزارته الثانية فلم يردهم إلى الحكم وهم يريدون أولا يريدون . والغريب أن وزير الخارجية غير موفق حتى فى مرضه ، فهو مشارك فى هذا المرض لرئيس الوزراء ، ولكنه أراد أن يمضى بهذه الشركة إلى أبعد حدوده ، فظن أنه يستطيع هو أيضا أن يسافر إلى أوروبا كرئيس الوزراء ، وأن الذى يؤذن فيه للوزراء إنما هو الراحة إذا تعبوا وهم أصحاء كما يستريح وزير التقاليد بعد أيام لأنه متعب ، لا لأنه مريض . وعلى كل حال فقد كان مرور نخله باشا المطيعى بالوزارة درسا إن لم ينفعه هو فقد ينفع زملاءه . وقد ينفع الوزير الذى سيخلفه على وزارة الخارجية . وخلاصة هذا الدرس أن الوزير الذى يفكر فى أن يقيس نفسه برئيس الوزراء لا يصلح للوزارة ، وإنما الوزير الذى يصلح للوزارة حقا هو الذى يضعه رئيس الوزراء على كرسيه فلا يبرحه حتى يدفعه عنه رئيس الوزراء دفعا ! والوزير الذى يصلح للوزارة هو الذى يعرف أن للناس مقامات ، وأن مقام الوزير رفيع بالقياس إلى موظفيه ، ولكنه على كل حال لا ينبغى أن يرقى إلى ما فوق ذلك أو أن يسامى مقام رئيس الوزراء .

فلعل المصريين أن يشاركوا الوزراء والمستوزرين فى الانتفاع بهذا الدرس السياسى القيم الذى تلقيه عليهم ظروفنا السعيدة فى هذا العهد السعيد .